

رؤيتان مصرية وسودانية حول اتفاق نيروبي

من جديد على سد «جون جارنج» ومعاونه فيما سمي «بالحركة الشعبية لتحرير السودان» ومرة أخرى حاولت حكومة الشمال أن تستغل الخلافات القائمة بين الجنوبيين فأنشأت ما أسمته بحركة «أنيا - أنيا» لتقاوم الحركة الشعبية وكانت جزءاً من الجهاز الأمني العسكري لحكومة السودان فلم يكتب لها البقاء أو الاستمرار، وظلت المعارك تدور بين حركة «جون جارنج» وحكومات الخرطوم الى أن تم توقيع اتفاق «ماشاكوس» الأخير.

إن الاتفاق يطرح افتراضات واحتمالات حول عملية السلام والاستقرار أو وحدة السودان وانفصال جنوبه عن شماله وهذه الافتراضات أعطيت لها مرحلة انتقالية مدتها ست سنوات قابلة للتجديد... ومعنى هذا أن المسؤولية الآن تقع على الشماليين في حسم هذه الافتراضات وليس على الجنوبيين، حدهم خاصة أن الجنوبيين أعلنوا على لسان «جون جارنج» وبشهادة الرئيس السوداني «عمر البشير» نفسه أنهم ليسوا انفصاليين وأنهم يسعون الى وحدة السودان.

ومن هنا تأتي مسؤولية الشماليين وحكومة الخرطوم في التعامل مع هذه الافتراضات والاحتمالات التي يطرحها الاتفاق الأخير إن كانوا يريدون وحدة السودان شماله وجنوبه فهم يقدرون وعليهم ألا يفرقوا بين ما هو شمالي وما هو جنوبي، ولا داعي لهذه الدساتير المتعددة التي يطرحها الاتفاق، وأن يفصلوا بين الدين والسياسة، خاصة أن وحدة السودان وأهميتها تكمن في تعدديتها سواء من ناحية الأعراق والأديان والثقافات واللغات وحتى المناخ، وكيف نصهر هذه التعدديات في بوتقة واحدة، ذلك هو الرهان الحقيقي أمام حكومة الخرطوم أيا كانت، وعلى الشماليين أن يتعاملوا مع الموضوع بجدية وليس من باب المناورات السياسية أو المصالح الضيقة ولا يصح أن نحمل الشماليين وحدهم مسؤولية الوحدة أو الانفصال برغم أنهم بالفعل يتحملون الجزء الأكبر في هذا، فإن الجنوبيين أيضاً عليهم مسؤوليات قومية ووطنية ووحودية إذا كانوا بالفعل، كما يقولون أنهم وحدويون... عليهم أولاً أن يدركوا أن الجنوب منفصل لا يصلح أن يكون دولة مستقلة فهو جغرافياً ليست له منافذ، وسيصاب بالاختناق وسط الدول الأفريقية المجاورة خاصة أن القبائل مع حدود هذه الدول متداخلة وساعتها لن يكون هناك جنوب.

عليهم ثانياً أن يعملوا على توحيد أنفسهم، فوحدة الجنوب مقدمة لوحدة السودان وهذه الخلافات القبلية والتي تصل الى داخل القبيلة الواحدة كما هو حادث في قبيلة الدنكا، أكبر القبائل السودانية الجنوبية من شأنها أن تضعف موقفهم خاصة أن الجنوبيين الآن ليسوا هم الجنوبيين قبل الاستقلال فهناك مئات المثقفين منهم الذين تعلموا في الجامعات الأوروبية والأفريقية ومنهم السياسيون والمفكرون والحكماء، وعلى الجنوبيين أيضاً أن يضعوا مصالحهم القومية قبل مصالحهم الشخصية والقبلية، وعلى الجميع أن يدرك أن انفصال جنوب السودان عن شماله سوف يفتح الباب أمام انفصالات جهوية أخرى في الغرب والشرق، فهذا هو «فيليب عباس غبوش» في الغرب يتربص، و«قبائل البجة» في الشرق تتربص هي الأخرى، والخشية أن يعود السودان الى ما كان عليه في الماضي من ممالك صغيرة مثل مملكة «سنار» ومملكة «الفونج» ومملكة «الفور» وعند ذلك سيكون الأمر مهدداً لامننا وأمن جيراننا... وأمن المنطقة بأسرها.

إن وضع نهاية الحرب في جنوب السودان كان أمراً ضرورياً، فمئات الآلاف من السودانيين راحوا ضحية هذه الحرب، وتأثر الاقتصاد السوداني بشماله وجنوبه، وأصبحت الدولة التي كان يقال عنها «سلة غذاء العالم» لا تفي احتياجات مواطنيها... واستمرت المعارك في المرحلة الثانية من هذه الحرب منذ مارس ١٩٨٢ حتى الآن وهي المعارك التي قادها «جون جارنج» تحت اسم «الحركة الشعبية لتحرير السودان» وتكف حكومة السودان سنوياً أكثر من مليار دولار بينما لا تحصل من إنتاج البترول على أكثر من ٨٠٠ مليون دولار، وهذه الحرب هي الحرب الثانية في سلسلة النزاع بين الشمال والجنوب، وكانت الحرب الأولى هي التي اندلعت عام ١٩٥٥ حتى عام ١٩٧٢ وهو عام اتفاق أديس أبابا، وقاد هذه الحرب حركة «أنيا أنيا» بقيادة «جوزيف لاجو» التي عقدت اتفاقية «أديس أبابا» عام ١٩٧٢ ومنح الجنوب حكماً ذاتياً، وشارك ممثلون من أبنائه في حكومة الخرطوم

د. صلاح عبداللطيف

كاتب صحفي مصري

المركزية حيث عين «جوزيف لاجو» نائباً ثانياً للرئيس «جعفر نيري» بعد النائب الشمالي «عمر محمد الطيب» وأحيلت بعض الوزارات غير السيادية مثل وزارة الثروة الحيوانية أو النقل والمواصلات الى الجنوبيين ولم يقنع الجنوبيون بمثل هذه الوزارات.

أن النزاع بين شمال السودان وجنوبه له أسبابه، ويمكن القول إن البذور الأولى والأساسية لهذا النزاع صنعتها بريطانيا عندما كانت تحتل مصر والسودان معاً. وهي التي عززت وعمقت الفوارق بين الشمال والجنوب، واعتبرت الجنوب «أرض مغلقة» لا يدخلها الشماليون إلا بتصريح خاص، الأمر الذي أدى الى عزل الشمال عن الجنوب اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وعندما طرحت مصر مبدأ حق تقرير المصير لشعب السودان وتركت له حرية الاختيار بين الاتحاد مع مصر أو الاستقلال بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ تم تشكيل وفد سوداني عام ١٩٥٤ للتفاوض مع مصر حول مستقبل السودان ولم يكن في هذا الوفد ممثل عن الجنوب الأمر الذي دعا الجنوبيين بعد ذلك الى تشكيل أحزاب سياسية تعبر عنهم، كما أدى تجاهلهم في مفاوضات الاستقلال التي نشوب الحرب الأولى بين الشمال والجنوب عام ١٩٥٥ التي استمرت حتى عام ١٩٧٢ والتي قادتها حركة «أنيا - أنيا» الجنوبية وساهمت في اشتغالها وتغذيتها دوافع أجنبية.

ثم جاء اتفاق «أديس أبابا» ١٩٧٢ ليضع نهاية لهذه الحرب ويحدد ملامح حكم ذاتي للجنوبيين في إطار وحدة السودان، لكن حكومة الشمال لم تكن جادة في اتفاقها إذ أنها سرعان ما لعبت على التناقضات والخلافات القائمة بين الجنوبيين، فقربت منهم من قريبته وأبعدت منهم من أبعده، وفي الوقت نفسه لم تقم بإصلاحات ومشروعات حقيقية في الجنوب تماثل مع المشروعات التي قامت بها في الشمال، ثم جاء عام ١٩٨٢ بقوانين أسستها قوانين الشريعة الإسلامية حاولت فرضها على الجنوبيين الأمر الذي أنهى حالة الاستقرار في الجنوب ونشبت المعارك